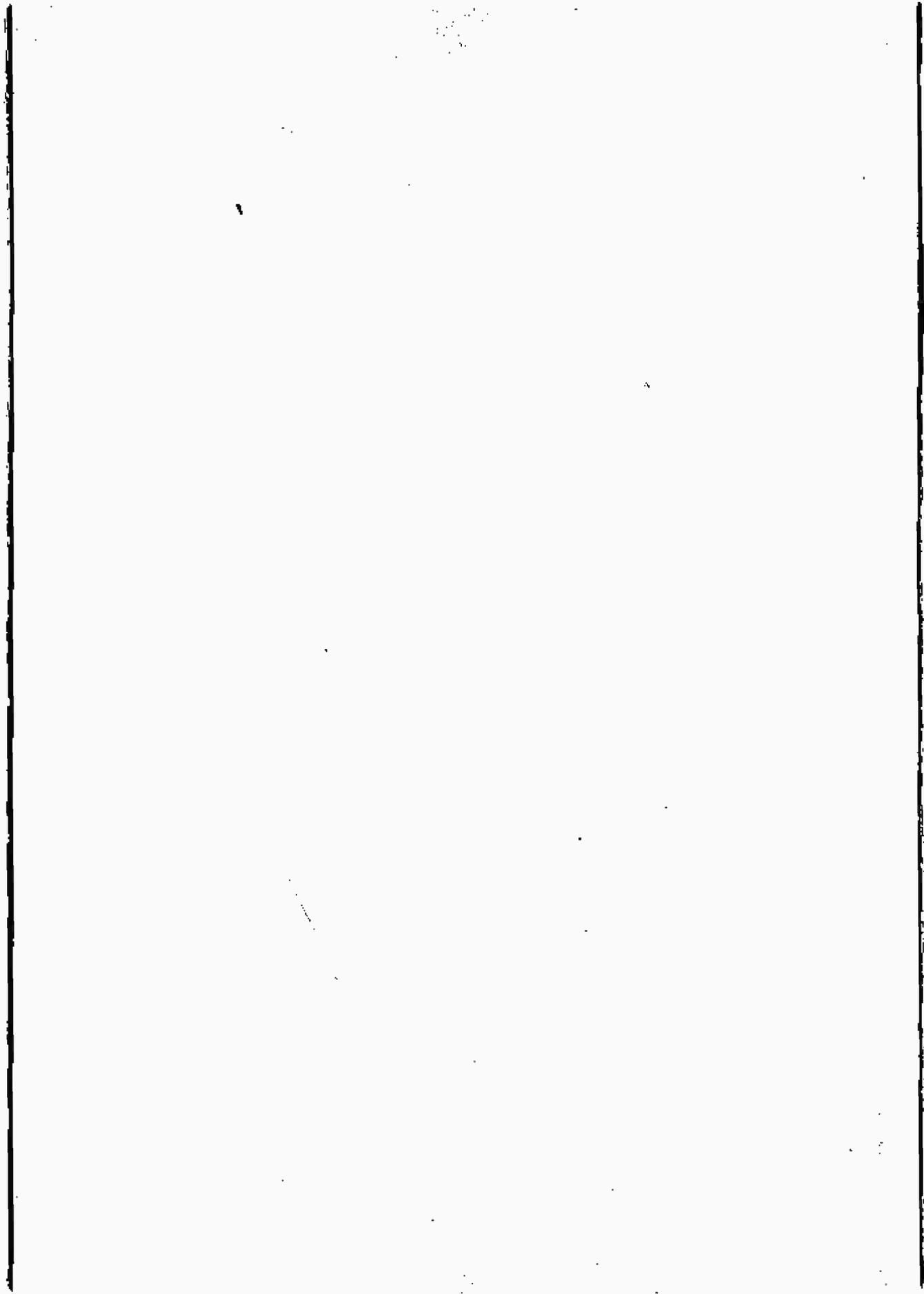


**من ثمار التواصل الثقافي بين مصر وفرنسا  
فى مجال علم النفس**

بمّث مقدم من

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن العيسوى



## من ثمار التواصل الثقافي بين مصر وفرنسا في مجال علم النفس

أهمية التواصل الثقافي بين المجتمعات :

١

ترجع العلاقات الثقافية الرسمية، وغير الرسمية، بين المجتمعات العربية وفرنسا إلى عهد بعيد يزيد عن المائتي عام. وفي هذه الأيام تثار قضية "العولمة" ولذلك يخشى على الهوية العربية والإسلامية من الذوبان والطمس والزوال في خضم مثل هذه الدعوات العالمية. ومع ذلك فإن الثقافة العربية والإسلامية لا تعرف الانغلاق على الذات، ولا تعرف التعصب أو التحيز، ولكن يخشى على شعور شبابنا بالانتماء الإسلامي والعربي والوطني والأسرى أن يناله الضعف في خضم فكرة العولمة هذه. والقاعدة التي تسيطر عليها مجتمعاتنا العربية، في مضمار التواصل الثقافي، هي الاستفادة من كل زاد، ومن كل فكر ومن منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة، ولكن شريطة أن يتفق ما ننقله مع أمهات ثقافتنا الإسلامية والعربية وعمومياتها، بحيث نحمل أنفسنا وشبابنا من طمس الهوية أو الشخصية، ومن ضعف مشاعر الانتماء في نفسه، وبحيث ننقى ونفريد ونصلى ما نأخذه عن الغرب، مما قد يكون عائقاً به من الشوائب أو الكفر أو الإلحاد أو التفرنج والتحلل الأخلاقي أو النزعات المادية، على حساب النزعات الروحية والقيم الأخلاقية، ومن أمثلة ثمار التواصل الثقافي والعلمي والإيجابي والفعال ما فعله علماءنا العرب حين نقلوا كثيراً من مظاهر التراث العلمي في مجال علم النفس إلى البيئة العربية. ومن ذلك أعمال ألفريد بينيه عالم النفس الفرنسي الشهير، وصاحب الاختبار المعروف باسمه والمخصص لقياس ذكاء الأطفال والمرهقين والراشدين. ويكمن وراء تطبيق هذا الاختبار، بعد نقله إعادة تقنينه واستخراج معايير لتفسيره على عينات عربية، وراء هذا تاريخ طويل<sup>(١)</sup> من الجهاد والكفاح والمثابرة في ملأه النضال العلمي والثقافي.

ولقد شهد العالم حركة نقل هذا الاختبار من الفرنسية إلى معظم دول العالم، ولم تتخلف مصر عن غيرها من بلاد العالم في هذا المضمار إذ قام

الأستاذ إسماعيل القباني منذ وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩٣٧ بنقل المقياس إلى العربية مع إدخال التعديلات الضرورية عليه لجعله ملائماً للبيئة المصرية. وكان من نتائج ذلك أن تيسر للمشتغلين بالمقياس العقلي في مصر وغيرها من البلاد الناطقة بالضاد تطبيق هذا المقياس.

وفي الطبعة التي أصدرها كل من تيرمان وميريل في أمريكا صورتان بدلاً من صورة واحدة، كذلك امتد المقياس ليشمل سنوات أكثر، حيث أصبح صالحاً للاستخدام من عمر عامين بدلاً من ثلاثة أعوام، وامتد ليشمل من الرشد كذلك.

وبعد نحو عشرين عاماً من جهود الأستاذ إسماعيل القباني، قام كل من الدكتور محمد عبد السلام أحمد والدكتور لويس كامل مليكه بمراجعة الاختبار وتنقيحه، وقاما بإعداد المعايير ونماذج الإجابات والتأكد من صدقه وثباته وصلاحيته للتطبيق على البيئة العربية.

**الفريد بينيه : حياته ونشأته :**

الفريد بينيه Alfred Binet (١٨٥٧ - ١٩١١م) عالم نفس فرنسي وضع أول اختبار ذكاء مقنن، درس اللغويون والطب وعلم الحياة، ولكن علم النفس استهواه، فدرس العمليات العقلية العليا، واستخدم اختباراً قائماً على استعمال الورقة والقلم. واستخدم الأسئلة اللفظية وبقع الحبر، وكان ذلك أساساً وبداية لنشأة الاختبارات الإسقاطية، وأصدر مجلة علم النفس الفرنسية ١٨٩٥، ولقد وضع اختباره بتكليف من وزارة التربية الفرنسية لاكتشاف الأطفال المتخلفين عقلياً بين أطفال المدارس الابتدائية، وذلك توطئة لوضعهم في مدارس خاصة بضعاف العقول، والاختبار عبارة عن سلسلة من الأسئلة التي تتدرج في الصعوبة، ويناسب كل منها مستوى معين من مستويات النمو وهو عبارة عن ٣٠ سؤالاً<sup>(١)</sup>.

يقال إنه ولد عام ١٨٥٦ أو ١٨٥٧ ميلادية، ونشر أول مجلة لعلم النفس

تصدر بالفرنسية عام ١٨٩٤، وابتكر أول اختبار مقيس لقياس الذكاء عام (١٩٠٥) درس القانون والطب والبيولوجيا في جامعة باريس، وجذبه علم النفس أثناء اشتغاله في جامعة السربون مع بونيه H.E. Beaunis وقد أصبح بينيه، فيما بعد، خليفته كمدير لمعمل علم النفس<sup>(٦)</sup>. ولقد رفض علم النفس التركيبي، واهتم بدراسة العمليات العقلية العليا عن طريق استخدام اختبارات الورقة والقلم وكتب عن الإحياء، والتتويم، وعن الأمراض ودرس الفروق الفردية Individual differences وكان مساعده تيودور سيمون T.H. Simon يهتم بدراسة ضعف العقول<sup>(٧)</sup>. واختباره أول مقياس لقياس الذكاء وضعه بينيه وسيمون في عام ١٩٠٥. وقاما بمراجعتة وتعديله في عام ١٩٠٨ وفي عام ١٩١١، وتمت ترجمته ومراجعتة في الولايات المتحدة الأمريكية، وظهر بعد ذلك تحت اسم "مقياس ستانفورد - بينيه للذكاء" في عام ١٩١٦ وانتشر في جميع أرجاء العالم، ويعتبر الأساس الذي قامت عليه اختبارات الذكاء الحالية، وكان أول مقياس ينجح في قياس للعمليات العقلية العليا في الإنسان أو الوظائف العقلية العليا، كالتفكير والاستدلال والتجريد والحكم، ولم يكن لي المستطاع قياسها من قبل، وإنما كان يعتمد في تقدير الذكاء على القدرات الحسية كحدة السمع أو حدة الإبصار أو القدرة على تقدير أوزان بعض الأجسام، وهو أول مقياس طبق في تصميمه مناهج تثمين الاختبارات أي إيجاد صدق الاختبار Test Validity أي التحقق من أنه يقيس فعلاً ما وضع لقياسه، وهو الذكاء، والتحقق من ثباته Test reliability بمعنى أنه يعطي دائماً نفس النتائج كلما أعيد تطبيقه على نفس الأفراد وتحت نفس الظروف<sup>(٨)</sup>.

وهو أشهر مقياس للذكاء في العالم على الإطلاق، ولقد تمت ترجمته إلى كثير جداً من اللغات العالمية، من بينها اللغة العربية، حيث ترجمه إلى العربية في مصر محمد عبد السلام أحمد ولويس كامل ملكيه في الخمسينات من القرن العشرين. كما قام بترجمته مرة ثانية في الثمانينات مصري حنورة وكمال

مرسى. وتمت إعادة تقنيه فى بلدان كثيرة أى إيجاد معايير له Norms، لقد كان هذا الاختبار فتحًا جديدًا فى حركة القياس النفسى العلمى والموضوعى. وبالطبع يجرى تعديله قبل تطبيقه، كما تعاد عملية إيجاد صدقه وثباته، كما حدث له قبل الاستخدام فى المجتمع الأمريكى. والاختبار باسمه الجديد: ستانفورد - بينيه، ينسب إلى الجامعة الأمريكية التى تمت دراسته فيها وتعديله وتقنيه. وفى عام ١٩٣٧ أعانت نفس الجامعة تعديله، وأصبح له صورتان وفى عام ١٩٦٠ تمت مراجعته بإشراف عالم النفس تيرمان Terman، وأصبح مرة ثانية مكونًا من صورة واحدة جيدة المفردات أو البنود أو الأسئلة وهو مقياس يطبق فرديًا Individual، أى على فرد واحد عن طريق باحث واحد، وليس اختبارًا جمعيًا Group test يمكن تطبيقه على مجموعات كبيرة من الأفراد، وتبدأ مفرداته من الأسئلة الصالحة لقياس أطفال العامين إلى سن الرشد. وتتكون هذه المفردات من مفردات لفظية وأخرى عملية، ويصلح هذا الاختبار للتطبيق على الأطفال والمراهقين وشباب الجامعات<sup>(١)</sup> ولا يصلح للأمين ولا لكبار المن.

ولإسهام الفريد بينيه أهمية قصوى فى مجال علم النفس، ذلك لأن اختبارات الذكاء يتم تصميمها لقياس القدرات التى تميز الشخص الذكى عن الغبى، وما لا شك فيه أن الذكاء والغباء يلعبان دورًا رئيسًا فى النجاح المدرسى وفى النجاح المهنى وفى تحقيق التكيف الاجتماعى Brightness and dullness are important in school success, in vocational success, and in social adjustment<sup>(٢)</sup>

وكذلك يفيد اختبار الذكاء فى تقرير ما يوجد بين الناس من فروق فردية. ولقد طلبت منه الحكومة الفرنسية أن يصمم مقياسًا لفرز الأطفال العاجزين عن مواصلة الدراسة فى المدارس العادية To detect those children who were too dull to profit from ordinary schooling. ويعد اختبار بينيه الأساس الذى قامت عليه بقية اختبارات الذكاء فى العالم. ولقد كان له الفضل فى تقديم الأساس اللازم لبناء الاختبارات Test

construction وافترض أن الذكاء ينمو مع النمو العادي للطفل، وأن الطفل الغبي يتصرف كما يتصرف الطفل السوي، ولكن الأصغر منه سناً.

ولذلك كانت وحدة القياس التي اعتمدها بينيه هي العمر العقلي Units of mental age والذي يقابل العمر الزمني Chronological age الطفل الذكي يسبق عمره العقلي عمره الزمني، والطفل الغبي يتأخر عمره العقلي عن عمره الزمني، ومن هنا كانت سهولة تفسير درجات هذا المقياس لدى المعلمين وغيرهم.

والفريد بينيه يعد أباً لحركة قياس الذكاء المعاصرة، وهو واضع اختبار بينيه لقياس الذكاء Bient-Scale، وحيث أن مساعده سيمون قد ساهم معه في وضع هذا الاختبار فلقد سمى هذا الاختبار باسم اختبار بينيه - سمون Bient-Simon Scale وهو أول مقياس يوضع لقياس ذكاء أطفال المدارس. ولقد قال بيرت عالم النفس الإنجليزي الشهير عن هذا الاختبار أن بينيه قد نجح في تصدير شيء ما إلى إنجلترا ولم يرفضه الإنجليزي. ولقد رحب علماء النفس في جميع أنحاء العالم، في ذلك الوقت بتصميم هذا الاختبار، حيث اعتبروه فتحاً جديداً في مجال القياس النفسي. ولقد أثار هذا الاختبار اهتمام العلماء فعكف كثير منهم على مراجعته وتنقيحه، ولكنه ظل مرتبطاً باسم بينيه حتى في آخر تعديلاته والمعروفة الآن باسم مقياس ستانفورد - بينيه لقياس الذكاء Stanford Bient Scale وذلك نسبة إلى جامعة ستانفورد الأمريكية، حيث قام عالم النفس تيرمان وغيره من علماء هذه الجامعة بتعديل هذا المقياس.

والحقيقة أن بينيه هو الذي رمخ أقدام علم النفس التجريبي في فرنسا في الفترة ما بين عام ١٨٩١ حتى ١٩٠٠. والغريب أن بينيه لم يكن من دارسي علم النفس في بداية حياته، ولكنه درس القانون وحصل على شهادة فيه في عام ١٨٧٨. ولكن بحوث شاركو Jean Martin Charcot (١٨٢٥ - ١٨٩٢) في علم النفس شجعتَه وجذبته نحو هذا الميدان الخصيب، ولذلك تتلمذ على يد

شاركو. وأصدر دراسة في التتويم المغناطيسي لدى الحيوانات ١٨٨٦. ولقد درس بينيه العلوم الطبيعية وحصل على درجة البكالوريوس فيها عام ١٨٩٠ ثم حصل على درجة الدكتوراه في ١٨٩٤.

ولقد تأثر بينيه في حبه للعلم والبحث العلمي، بوالده ووالدته فلقد كان والده طبيبًا، وكانت أمه تهوى دراسة الفن والأدب، ولذلك اتجه بينيه نفسه إلى التأليف في الأدب، وكتب مسرحية "الرجل الغامض" ١٩١٠ ظلت تعرض لأكثر من خمس وعشرين ليلة على المسرح في فرنسا.

وكان بينيه مهتمًا بدراسة الجوانب الغامضة من النفس البشرية وظواهرها الخارقة، وانتقد الدراسات المعملية التي كانت تجرى في ألمانيا لبحثها في موضوع الإحساسات وردود الأفعال، ولكنه اتجه إلى دراسة العمليات العقلية العليا في الإنسان وتذكر منها العمليات الآتية :

(١) التفكير، (٢) التخيل، (٣) التصور، (٤) الإدراك، (٥) التعلم، (٦) التذكر، (٧) الإبداع، (٨) الاستبطان، (٩) الاستقراء، (١٠) التعميم، (١١) التمييز، (١٢) التجريد، (١٣) الحكم، (١٤) المقارنة، (١٥) التحليل، (١٦) التركيب.

وهي العمليات التي كانت لا تخضع للقياس النفسى المباشر، في ذلك الوقت، ولذلك نراه يصدر كتابًا عن الاستدلال (١٨٦٦) وكتابًا عن الوعي المزدوج ١٨٨٦، وعن التغيرات في الشخصية ١٨٩٢، ولقد ترك أستاذه شاركو وانتقده بشدة لبعده عن النزعة التجريبية في الدراسات النفسية، وانتهج هو المنهج التجريبي الذي ازداد نشره في فرنسا.

ولقد أسهم بينيه إسهامًا كبيرًا في تطور علم النفس المرضى وعلم النفس التربوي والتعليمي في فرنسا، والواقع أن الاتجاه العلمي لدى بينيه، إنما هو وليد عصره، فلقد سادت النزعة التجريبية في فرنسا في هذا العهد.

ومن أشهر دراساته تلك الدراسة التي أجراها على ابنتيه "مدلين وأليس"

والتي نشرها تحت عنوان "دراسة تجريبية في الذكاء" ١٩٠٣ حيث كان يطلب منها إعمال فكرهما في بعض المسائل وأن يخبراه بالخطوات التي سارا فيها للوصول إلى الحل. وأكدت له هذه الدراسة إمكانية حدوث التفكير بلا صور، وأدرك أن هناك فروقاً فردية بين إبتتيه في الوظائف العقلية، ومعلوم أن الفروق الفردية التي توجد بين الناس من الأسس التي قامت عليها حركة القياس الكمي في علم النفس، وهي تلك الفروق التي تميز فرداً معيناً عن غيره من الأفراد، وتوجد هذه الفروق في كافة السمات والقدرات الجسمية والعقلية والعيول والاستعدادات والمهارات والخبرات والمعارف في الإنسان<sup>(٨)</sup>.

ولقد قال بينيه بوجود نمطين من أنماط الشخصية، وسبق بهما نظرية

أنماط الشخصية عند يونج وهما :

أ- النمط الموضوعي Objective.

ب- النمط الذاتي Subjective.

النمط الموضوعي يهتم صاحبه بالعمل والأفعال والحركة والسلوك، أما النمط الذاتي فيميل إلى التفكير الذاتي التأملی أو الاستبطاني، وذهب إلى القول بأن علم النفس هو علم دراسة الأفعال<sup>(٩)</sup>.

ولقد ارتبط بينيه بعلاقة المصاهرة، حيث تزوج ابنة عالم من علماء الحياة، فشجعه ذلك إلى أن يتخصص هو نفسه في علوم الأحياء، وأبت علاقته هذه إلى أن يصبح الرجل الثاني في معمل علم النفس الفسيولوجي مساعداً لصهره الذي كان يتولى رئاسة هذا المعمل، وأصبح بينيه رئيساً لهذا المعمل عام ١٨٩٥ وظل يحمل مديراً له حتى وفاته في العام ١٩١١.

وفي عام ١٩٠٤ اقترح بينيه على وزارة التربية الفرنسية أن تشكل لجنة لدراسة أوضاع الأطفال المتخلفين عقلياً والموجودين في المدارس مع الأطفال الأسوياء، ويتقنون معهم نفس المناهج والمقررات الدراسية، وبالطبع لا يحققون إنجازات تحصيلية.

وكان بينيه قد حول اهتماماته البحثية، منذ عام ١٨٨٧ لدراسة المدارس دراسة ميدانية، واشتهر عنه أنه أجرى دراسة في "القدرة العقلية العامة" والتي تعرف الآن بالذكاء العام *General intelligence* ومن هنا رأت الوزارة أن تعهد إليه برئاسة هذه اللجنة، ولم ينقض عام واحد حتى أصدر بينيه وزميله تيودور سيمون (١٨٧٣ - ١٩٦١) اختباراً في قياس القدرات العقلية العليا وللتمييز بين الأفراد في هذه القدرات، وهو الاختبار المعروف باسم اختبار بينيه - سيمون ومن خلاله تمكن من تحديد ذكاء الأسوياء وغير الأسوياء، أي ضعاف العقول، وكان ذلك في عام ١٩٠٥، وفي هذا الصدد وضع تعريفاً للذكاء العام، بأنه قدرة تتميز بالنزعة نحو اتجاه عقلي محدد، والاستمرار فيه، والقدرة على إجراء التعديلات اللازمة وصولاً إلى هدف معين، مع القدرة على النقد الذاتي، ولقد قبل هذا التعريف عالم النفس تيرمان، وأكدت صحة هذا التعريف بحوث التحليل العاملي *Factor Analysis* التي كان يجريها سبيرمان، من خلال ما ذهبت إليه من أن النشاط العقلي كله يتكون من عامل عام، يوجد في كل الأنشطة الذهنية، وعامل خاص يوجد في بعض الأنشطة دون غيرها كالعامل الخاص في النبوغ في الموسيقى أو الرياضيات، حيث ترتبط الأنشطة العقلية المختلفة لتكون عاملاً عاماً مشتركاً.

ولم يكن بينيه جامداً في فكره أو عمله، حيث أجرى العديد من التعديلات والتنقيحات على مقياسه هذا وكان آخرها عام ١٩١١ (قبل وفاته، واختباره يتكون من مجموعة من الأسئلة تناسب أطفال الأعمار المختلفة ابتداء من سن الثالثة، فطفل الثالثة يمكن قياس ذكائه عن طريق سؤاليه بأن يشير إلى أجزاء من جسمه أو وجهه، كالأنف والأذن والعين، وأن يعرف اسم عائلته، وفي سن الرابعة يعرف الطفل أسماء الأشياء البسيطة في بيئته، وأن يعرف الفرق في طول خطين طول أحدهما خمسة سم وطول الآخر ٦ سم وفي سن الحادية عشر يطلب منه تكوين عدة عبارات من كلمات محددة، وأن يعيد تركيبها في كل مرة

لتمطى معنى جديدًا، وأن يعرف معنى بعض المفاهيم المجردة، كالعطف والشفقة، وفى سن ١٢ سنة يطلب منه أن يشرح موضوع بعض الصور، ويحصل الطفل على درجة تعرب عن عمره العقلى إذا أجاب عن الأسئلة المخصصة لهذا العمر العقلى بصرف النظر عن عمره الزمنى.

ولقد لاقى فكرته عن الذكاء، بأنه قدرة عامة أو قدرة القدرات نجاحًا كبيرًا وقبولًا واسعًا، مما ساعد فى تحقيق هذا النجاح أنه أتاحت له فرصة لتطبيق اختبارها هذا على عينات كبيرة من الأطفال الأسوياء والمتخلفين عقليًا.

أثر الفقر فى الذكاء :

وعندما تم تطبيق اختبار بينيه على أطفال مجتمعات أوروبية أخرى، أظهر هؤلاء الأطفال تفوقًا كبيرًا عن أطفال بينيه، ولذلك أرجع هذا الفارق إلى المستوى الاجتماعى والاقتصادى، حيث كانت عيناته من الأطفال الفقراء فى باريس، ولقد أوحى إليه هذا أن يكتب مقالة يوضح فيها تأثير الذكاء بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى والمهنى لأباء الأطفال أسماه "البؤس الفسيولوجى والبؤس الاجتماعى" وأثرهما على مستوى الذكاء، ومن هذا القبيل كتابة الأفكار العصرية عن الأطفال ١٩٠٩ تضمن أفكارًا عن الطفولة وتوصياته التربوية<sup>(١٠)</sup>.

أعماله ومؤلفاته وجهوده فى تطور علم النفس التجريبي والكمي :

١. دراسات فى علم النفس التجريبي ١٨٨٨م

٢. سيكولوجية الاستدلال ١٨٨٦م.

٣. القيتشية فى الحب ١٨٩١م.

٤. التغيرات فى الشخصية ١٨٩٢م.

٥. التعب الفكرى ١٨٩٨م.

٦. الاستهواء أو الإيحاء ١٩٠٠م.

٧. أصدر المجلة الحولية السيكلوجية ١٨٩٥م.

وكان يعمل فى معمل علم النفس فى جامعة السربون بباريس، ومن بين

أهدافه في إصدار هذه الحولية نشر الوعي بعلم النفس أو التعريف بعلم النفس والدعوة لتطويره في فرنسا من خلال نقل تراثه العالمي إلى اللغة الفرنسية، والإعلان عن التجارب الجديدة التي تجرى في علم النفس سواء في فرنسا أو في غيرها<sup>(١١)</sup>.

ويعد بينيه من أتصار علم النفس الكمي والقياس الكمي للظواهر أو القدرات العقلية كالتفكير :

Psychophysics and quantitative psychology and measurement  
ويقع اختبار بينيه ضمن الاختبارات المعرفية Cognitive tests والتي استخدمت في عملية التشخيص Diagnosis ويحتوى اختبارها هذا على سلسلة من الأعمال منها الألغاز ومسائل حسابية Puzzles and Arithmetic ومفردات لغوية Vocabulary items وقد اعتد بينيه أن ما نسميه الذكاء يتكون من عدد من القدرات والمهارات، ولذلك وضع مفردات تقيس هذه القدرات، وتلك المهارات المفردة التي ينجح في حلها الغالبية الإحصائية من أرباب عمر معين، تصلح لقياس ذكاء أطفال هذا العمر، وبذلك يكون قد استخدم معايير العمر age norms ومن ثم العمر العقلي ونسبة الذكاء وكيف كان أداء الطفل مقارنة بأداء زملائه في السن<sup>(١٢)</sup>.

إسهامات الفريد بينيه في الكشف عن العبقرية والضعف العقلي :

وكما يقول شان ماجام T.E. Shanmugam أن أول محاولة لتصنيف التخلف العقلي mental retardation بالنسبة للذكاء كانت على يد بينيه حيث بدأ في وضع اختبار للذكاء في وقت مبكر نسبياً يرجع إلى عام ١٩٠٥ في فرنسا بقصد التعرف على أولئك الأطفال العاجزين عن الاستفادة من التعليم العادي، والذين لا يرجع عجزهم إلى علة جسمية، وتضمن الاختبار لقياس القدرة على الاستدلال وحل المشكلات Reasoning and Problem - Solving أكثر من اهتمامه بقياس القدرات الحركية أو المهارات الحركية Motor Skills وميز بين مفهوم العمر العقلي والعمر الزمني، ولقد تبع ذلك ابتكار تيرمان لمصطلح نسبة

الذكاء وهي عبارة عن نسبة العمر العقلي للفرد إلى عمره الزمني Intelligence quotient<sup>(١٣)</sup>.

وفي الحديث عن تاريخ دراسة العبقرية Genius أو ما يمكن أن يسمى بالشذوذ الإيجابي Positive abnormalities، يقال أن ألفريد بينيه قد أسهم في إجراء البحوث المنظمة حول العبقرية بإبتكاره اختبارات الذكاء الحديثة، بالاشتراك مع سيمون Simon في فرنسا<sup>(١٤)</sup>. وفي عام ١٩١٦ قام لويس تيرمان Lewis Terman في جامعة ستانفورد الأمريكية بتزجئة طبعة معدلة من اختبار بينيه سيمون وأسمها اختبار ستانفورد - بينيه للذكاء The Stanford-Bient Test of Intelligence وكان الشخص الذي يحصل على درجات عالية جدًا على هذا المقياس يعد عبقرًا. وبذلك تم وضع كلمة عبقرية في شكل كمي موضوعي محدد لدرجة جعلت الناس يطلقون على تيرمان اسم أبو علم نفس الشواذ الإيجابي Positive abnormal psychology<sup>(١٥)</sup>.

لقد كان بينيه من الروائد الأوائل في حركة القياس العقلي Psychological measurement حيث ساهم في فهمنا لتوزيع القدرات العقلية في مجموع سكان المجتمع، كما ساهم ذلك في تحديد الفروق بين الذكاء والإبداع<sup>(١٦)</sup> Creativity.

مفهوم الذكاء ومكوناته في نظر ألفريد بينيه :

ولقد نجح بينيه في التغلب على الصعوبات التي واجهها العلماء في وضع تعريف دقيق للذكاء، واهتم فورًا بقياسه لتحقيق مطالب المجتمع من الاستفادة من تطبيق هذه المقاييس، حيث نحا نحوًا عمليًا، وتبعه في ذلك علماء النفس الأمريكيان، حيث لم يكن بينيه مهتمًا بتحديد طبيعة الذكاء بقدر ما كان مهتمًا بالتعرف على المفردات التي سوف تميز الطفل الخبي من الطفل الذكي أو النجاح والنشل الدراسي، ولذلك كان اختباراه عبارة عن غزيلة اجتماعية للأذكاء والأغبياء أكثر من كونه دراسة أكاديمية حول طبيعة الذكاء، ولقد نجح بينيه في التنبؤ بالنجاح الدراسي<sup>(١٧)</sup>.

وكما ساهمت أعمال بينيه في دراسة العبقرية والإبداع ساهمت أيضًا في

فلسفة الفريد بينيه التي تكمن وراء تصميم المقياس :

ويشترط في اختيار المفردات ألا يلزم للإجابة عليها تلقى الطفل تدريباً أو تعليماً معيناً. ولذلك فإن اختبار الذكاء يقيس الاستعداد العقلي Mental aptitude أكثر من كونه مقياساً لتحصيل الطفل Achievement لا يحتاج إلى تدريب خاص مسبق Training ولذلك يلزم اختيار مفردات جديدة، بحيث لا يختلف في الإجابة عليها الطفل الذي ذهب إلى المدرسة، وذلك الذي لم يذهب بعد المفردات تصبح غير مالوفة بالنسبة لجميع الأطفال، أى لم يسبق لأى منهم الخبرة التعليمية بها، كأن تقدم له مجموعة من الرسوم والأشكال، ويصبح عليه أن يدرك الشكل المختلف من بينها. ولاختيار المفردات الصالحة، افترض بينيه أن الطفل الكبير سناً ينجح في الإجابة الصائبة على المفردة بينما الأصغر سناً لا يحقق نجاحاً.

Unless older children are more successful than younger ones in answering the item is unsatisfactory<sup>(20)</sup>.

القدرة على الحل الصائب تزداد بالتقدم في السن، ويكفى أن ينجح ٦٠٪

من أرباب سن معينة ليكون السؤال صالحاً لهم، ومن ثم يتم وضعه في الاختبار النهائي المخصص لقياس ذكائهم، من الأسئلة الصالحة لأرباب من السبع سنوات ما يلي :

الأخ ولد والأخت ... وكلما تقدمنا في العمر، كلما نحت الأسئلة نحو التجريد Abstracting كأن نقول مثلاً ماذا نعنى بكلمة الحرية، وإذا كنا نقيس شيئاً عاماً واحداً، فإن كل مفردة من مفردات الاختبار يتعين أن تترايط مع الدرجة الكلية للاختبار المعبرة عن ذكاء الفرد نسبة النجاح في الإجابة على سؤال معين تزداد بالتقدم في العمر<sup>(21)</sup>.

هناك استخدامات عديدة لاختبارات قياس الذكاء، ولقد كان الفريد بينيه طبيئاً في الأصل، وطلب منه التعرف على التلاميذ ضعاف العقول، بغية القيام بالتدريس لهم باتباع مناهج تدريس خاصة ومختلفة Different Methods عن

تلك المستخدمة مع الأسوياء من التلاميذ<sup>(٢٢)</sup>، وكان من الطبيعي أن يصمم الفريد بينيه اختباره على أساس من مفهومه عن الذكاء وطبيعته on his notions of intelligence والناسم عن ملاحظته حول بنائه هو شخصيًا، من حيث ملاحظة أن القدرة العقلية تزداد بالتقدم لى السن Intellectual capacity increases with age ما الذى نلاحظ على سلوك الشخص الذكى؟

وتعتبر اعمال بينيه من بين أنشطة علم النفس الفردى، ذلك الفرع الذى وجه اهتمامه نحو ما يوجد بين الناس من فروق، بعد أن كان الاهتمام موجهاً نحو ما يوجد بينهم من اتفاق، واعتبارهم جميعاً نسخة واحدة، ولقد ابتكر بينيه، لأول مرة، مصطلح العمر العقلى فى عام ١٩٠٨ تأسيساً على مقارنة أداء الطفل بأداء زملائه.

طرق اختيار مفردات المقياس وتكوينه :

وتتدرج الأسئلة فى الصعوبة بالتقدم فى العمر على هذا النحو :

العمر العقلى ١-٢ سنة : حرك عوداً من الكبريت المشتعل أمام عين

الطفل، يحصل الطفل على الدرجة الكلية إذا حرك عيناه فى اتجاه الضوء.

العمر العقلى ٣ سنوات : اطلب من الطفل أن يريك أنفه وعينه ولغه.

العمر العقلى ٤ سنوات : اعرض على الطفل سكيناً وأسأل ما هذا؟

وماذا نسميها، ثم اعرض عليه شلناً ثم مفتاحاً مع توجيه نفس الأسئلة السابقة والمطلوب اللجاح فى تسمية ثلاثة أشياء.

العمر العقلى ٥ سنوات : ارسم مربعاً طول ضلعه ٤ سم بالحبر،

واطلب من الطفل أن ينسخه بعد إعطائه قلماً وحبراً.

العمر العقلى ٦ سنوات : لرسم شكلاً هندسياً بالحبر واطلب من الطفل

أن ينسخه على أن يأخذ الشكل الهندسى شكل "المعين" diamond بعد إعطائه أيضاً الحبر والقلم.

العمر العقلى ٧ سنوات : خذ هذا المفتاح وضعه فوق الكرسي،

---

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) Higland, p. 403.

(١٨) *op. cit.*, p. 404.

(١٩) Edwards, D.C., *General Psychology*, Macmillan Co., London, 1968, p. 252.

(٢٠) Sanford, F.H., *Psychology : A Scientific Study of man*, Wadsworth, San Francisco, 1961, p. 102.

(٢١) *op. cit.*, p. 103.

(٢٢) *op. cit.*, p. 104.

(٢٣) كمال تصوكي، مرجعه السابق، ص ١٤١١.

(٢٤) Sanford, p. 100.